الرسالة

(عبرانيين ١: ١٠–١٤؛ ٢: ١–٣)

أنتَ يا ربُّ في البدءِ أسَّستَ الأرضَ والسمواتُ هي صُنعُ يدَيْك* وهي تزولُ وأنتَ تبقى وكلُّها تَبلى كالثوبِ* وتَطويها كالرداءِ فتتغيَّرُ وأنتَ أنتَ وسنوكَ لن تَفنى* ولِمَنْ من الملائكةِ قالَ قطُّ اجلِسْ عن يميني حتى أجعلَ أعداءَك موطِئاً لقدَمَيْك* أليسوا جميعُهم أرواحاً خادِمةً تُرْسَلُ للخدمةِ من أجلِ الذينَ سيرِثونَ الخلاص* فلذلك يجبُ علينا أن نُصغي إلى ما سمِعناهُ إصغاءً أشدَّ لئلاَّ يسرَبَ من أذهانِنا* فإنَّها إن كانتِ الكلِمةُ التي نُطِقَ بها على ألسِنةِ ملائِكةٍ قد ثبَتت وكلُّ تعدٍّ ومعصِيَةٍ نالَ جزاءً عدلاً* فكيفَ نُفلِتُ نحنُ إن أهمَلنا خلاصاً عظيماً كهذا قد نُطِقَ به على لسانِ الربِّ أولاً ثمَّ ثبَّتَهُ لنا الذينَ سمِعوه.

الأحد الثاني من الصوم

ما زلنا نتابع مسيرة الصوم المبارك ورحلة الحج نحو الفصح المقدس، نحو عيد قيامة ربنا من بين الأموات. مع مضي أسبوعين على هذه الرحلة ما زالت الكنيسة تذكّرنا بما دأبت عليه منذ بدء التهيئة للدخول في الصوم ومنذ بدء الصوم، أنّ هدف هذه الرحلة الروحية هو الوصول إلى عيد الأعياد، عيد القيامة التي فتحت لنا أبواب الفردوس المغلقة في وجوهنا. الرب قد تجسد وصُلب وقام لكي نُستعاد أبناءً لله في فردوسه ونعيمه الأزلي، في ملكوته. تجسد لكي يستعيد لنا الشركة المفقودة التي كانت للبشرية مع الله والتي خسرناها بسبب خطيئة الإنسان الأول التي كان من نتائجها ان الطبيعة البشرية فسدت وسقطت وصار الإنسان يمرض ويموت. لذا نرى ان بشارة الرب بملكوته انعكست في كثير من الأحيان شفاءات وعجائب. الرب أعطانا من خلال الشفاءات التي قام بها أن نتذوّق مسبقاً ملكوته الذي كان يبشر به حيث ينتفي كل وجع وحزن وتنهد وألم. وكأننا مع كل شفاء نحيا الملكوت منذ الآن.

لقد اختارت الكنيسة في هذا الأحد الثاني من الصوم مقطعاً إنجيلياً (مرقس ٢: ١–١٢) يتحدث عن شفاء رجل مخلّع، لكن هذا الشفاء يتجاوز المرض الجسدي ليطال أصل المرض. هذا الحدث الإنجيلي يتناسب مع روحية الصوم الكبير المقدس وهدفه الذي هو استعادتنا أصحاء، روحياً وجسدياً، إلى الملكوت. الطبيب عادة لا يكتفي بإعطاء دواء مسكّن للألم يريح المريض بشكل مؤقت بل يبحث عن سبب المرض ويعالجه. أي ان الطبيب لا يكتفي بمعالجة عوارض المرض بل يسعى إلى معالجة أصل المرض ومسبّباته. هكذا يعالج الرب يسوع، طبيب وشافي نفوسنا وأجسادنا، في هذا المقطع الإنجيلي، أصل المرض أي الخطيئة التي تخلّع نفوسنا ويكون من نتائجها أن تتخلّع أجسادنا. معالجة نتائج الخطيئة، أي المرض حصلت عندما شفى الرب المخلّع وقال له: «قُم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك» وهو الأمر الأيسر والأسهل، لكن الرب أراد معالجة سبب المرض فقال له «يا بني مغفورة لك

العدد ١١ / ٢٠١٧

الأحد ١٢ آذار

الأحد الثاني من الصوم

أحد القديس غريغوريوس بالاماس

تذكار البار ثاوفانس المعترف

اللحن الخامس

إنجيل السَحَر الخامس

خطاياك».

يقول القديس كيرلس الإسكندري (القرن الرابع): «الطبيعة البشرية صارت مريضة مع الخطيئة... الجميع صاروا خطأة، ليس لأنهم أثموا جميعهم مع آدم (لأنهم لم يكونوا موجودين معه في الفردوس)، بل لأن طبيعته صارت تحت نير وسلطان الخطيئة... صارت الطبيعة البشرية مريضة وخاضعة للفساد بسبب إثم آدم». ان المرض وما ينتج عنه في الأخير، أي الموت، دخلا إلى كل حياة بشرية بالخطيئة. هذا لا يعني انه كلما مرض إنسان كان هذا بسبب خطيئة قام بها. الله «غير مجرَّب بالشرور، وهو لا يجرِّب أحداً» (يعقوب ١: ٣). الله لا يجازي أحداً بالشرّ. إلاّ ان المرض صار جزءاً من طبيعة البشر الساقطة، وهو يعبّر عن هذه الطبيعة الساقطة مع ما يرافقه من ألم ومعاناة. بعد السقوط صار المرض يُرى من منظور سلبي. قبل السقوط كان الإنسان الأول يمرض ويموت أيضاً لأن كل ما هو من مادة وله ابتداء له أيضاً انتهاء. إذاً طبيعة البشر معرَّضة للمرض وللموت. لكن بعد السقوط، صار المرض يُنظر إليه بطريقة سلبية على انه عقاب. الرب تجسَّد ليعيد كل شيء إلى طبيعته الأولى. هكذا فهم القديس يوحنا الدمشقي المرض فقال ان المرض افتقاد من الله ونعمة منه تدفع الإنسان إلى العودة إلى الأحضان الأبوية. لذلك، الأهم من الشفاء الجسدي هو الشفاء الروحي، ومَنْ يحصل على الشفاء الروحي يكون قد دخل في الحالة الفردوسية. وإذا لم يحصل الإنسان على الشفاء الروحي مع شفائه الجسدي لا يكون قد استفاد شيئاً. في النهاية كل إنسان سوف يموت في وقت ما، كما ان جميع الذين شفاهم يسوع ماتوا. حتى لعازار الذي اقامه الرب مات. المهم أن يكون كل مَنْ شفي قد دخل في شركة جديدة مع الرب. لذلك الشفاء الروحي هو الأهم وهذا ما يجب أن نسعى إليه: «خير لك أن تدخل الحياة أعرج أو أقطع أو أعور من أن تلقى في النار ولك يدان أو رجلان أو عينان» (متى ١٨: ٨ و٩).

في هذا الصوم المبارك الذي يهدف إلى إعادتنا إلى الحالة الفردوسية، لا يتركنا الرب في الحالة المريرة التي تسبّبها الخطيئة بل يمنحنا بواسطة الصوم والصلاة وأعمال الرحمة والتوبة والتواضع (وهذه كلها تعلّمناها في الأسابيع الماضية) فرصة علاج نفوسنا، كل ذلك لنعود إلى الفردوس الذي نُحنا على خروجنا منه منذ أسبوعين مع أحد الغفران لمّا اقمنا تذكار طرد آدم وحواء من الفردوس. الخطيئة تخلّع الإنسان نفساً وروحاً، كما يخلّع المرض جسد الإنسان. الترياق لكي تنهض النفس وتتعافى من مرضها يمنحه الله لكل مَن يعود إليه كما عاد الإبن الشاطر. وإذا منحنا الله الشفاء الجسدي مع الشفاء الروحي يكون هذا الأمر «نعمة فوق نعمة» (يوحنا ١: ١٦). وإذا لم يمنحنا الشفاء الجسدي مع الشفاء الروحي فلا نحزن، بل لنفرح لأننا ربحنا أنفسنا في السماء «لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كلّه وخسر نفسه» (متى ١٦: ٢٦).

ألا منحنا الله شفاء نفوسنا أولاً وإن شاء شفاء أجسادنا فنتذوق منذ الآن طعم الملكوت بكل وجوهه.

الإنجيل

(مرقس ٢: ١–١٢)

في ذلك الزمان دخل يسوعُ كَفْرَناحومَ وسُمع أنَّه في بيتٍ* فللوقت اجتمعَ كثيرون حتى إنَّه لم يعُدْ موضعٌ ولا ما حولَ الباب يَسَعُ وكان يخاطبهم بالكلمة* فأتوا إليهِ بمخلَّعٍ يحمِلهُ أربعةٌ* وإذ لم يقدروا أن يقتربوا إليه بسبب الجمع كشفوا السقفَ حيث كان. وبعدما نَقَبوهُ دلَّوا السريرَ الذي كان المخلَّعُ مضطجعاً عليهِ* فلمَّا رأى يسوعُ إيمانَهم قال للمخلَّعِ يا بُنيَّ مغفورةٌ لك خطاياك* وكان قومٌ مِنَ الكتبةِ جالسين هناك يفكّرون في قلوبِهِمْ ما بالُ هذا يتكلَّمُ هكذا بالتجديف. مَن يقدِر أنْ يغفِرَ الخطايا إلَّا اللهُ وحدَهُ* فللوقت علمَ يسوعُ بروحِه أنَّهم يفكِّرون هكذا في أنفسِهم فقال لهم لماذا تفكِّرون بهذا في قلوبكم* ما الأيسرُ أن يُقالَ مغفورةٌ لك خطاياك أم أنْ يُقالَ قُمْ واحمِلْ سريرَك وامشِ* ولكن لكي تعلَموا أنَّ ابنَ البشر لهُ سلطانٌ على الأرض أن يغفِرَ الخطايا قال للمخلَّع* لك أقول قُمْ واحمِلْ سريرَك واذهب إلى بيتك* فقام

للوقتِ وحمَلَ سريرَهُ وخرجَ أمـامَ الجميـعِ حتـى دهِـشَ كلُّـهم ومَّجدوا اللـهَ قـائلين مـا رأينـا مثلَ هذا قطُّ.

تـأمل

إن الذي يستسلم للملذّات هو مفلوج نفسياً قابع على سرير محبّة اللذّة، معتقد بأنه هكذا يكون في راحة جسدية. لكن عند اقتناعه بالنصائح الإنجيلية وعند اعترافه يظفر على خطاياه، وهكذا يداوي شلل النفس. عندها يُحمَل إلى الرب من قبل أربعة، على مثال المخلّع، أعني: دينونته الخاصة لنفسه، اعترافه بخطاياه السابقة، وعده بالابتعاد في المستقبل عن كل شرّ، وابتهاله إلى الله الرحيم.

لكن هذه الأربعة لا تستطيع أن تقرّبنا إلى الله إن لم ننبش السقف مزيلين القرميد والتراب والمواد الأخرى. السقف بالنسبة لنا هو القسم العاقل من النفس لأنه أسمى ما يوجد فيها. هذا القسم فيه مواد كثيرة تغطّيه، وله صلة وثيقة بالأرضيات وبالأهواء المختلفة. عندما تنكشف هذه المواد وتزول عن طريق العناصر الأربعة المذكورة أعلاه، عندها نستطيع بالفعل أن نتوجّه إلى الرب أي أن نتواضع في الحقيقة، أن نسجد ونقترب إلى الرب ونطلب الحصول منه على الشفاء.

لكن متى تحصل مثل أعمال التوبة هذه؟ عندما جاء يسوع إلى مدينته أي

مديح والدة الإله (تابع)

في عشية يوم الجمعة من الأسبوع الثالث من الصوم الأربعيني المقدَّس، نرتّل الدور الثالث من خدمة المديح الذي لا يُجلس فيه (الأبيات ١٣ – ١٨) إكراماً لوالدة الإله. فبعد أن كنَّا في الأبيات الـ ١٢ الأولى سردنا أحداث البشارة، ميلاد الرب يسوع المسيح ودخوله إلى الهيكل، نعلن في الأبيات الـ ١٢ الثانية عقيدة التجسّد ونتأمّل في الدور الذي لعبته والدة الإله في الخلاص.

في البيت ١٣ يتابع ناظم المديح تمجيد العذراء البتول فيدعوها زهرة عدم الفساد، إكليل الإمساك، رسم القيامة، سيرة الملائكة، شجرة لذيذة الطعم، غرسة ذات أوراق حسنة، حاملة مرشد الضالين، والدة منقذ المأسورين، شفيعة عند الديان، غفران الخطأة، سربال الدالة للعراة، وداً لكل شوق غالباً. وفي البيت ١٤ يعلن لنا الكاتب الغاية من تجسّد ابن الله من البتول مريم بقوله: «لأنَّ الإلهَ العليَّ لأجلِ هذا ظهرَ على الأرضِ إنساناً مُتواضعاً. لإيثارهِ أن يَجذُبَ إلى العُلوِّ الصّارخينَ له: هللويا».

عندما اتخذ ربنا يسوع المسيح الطبيعة البشريَّة، وتأنَّس من العذراء، صار إلهاً وإنساناً دون أي انفصال في آن معاً؛ بهذا تعلن الكنيسة إيمانها بأن للمسيح طبيعتين إلهيَّة وإنسانيّة. عن هذه العقيدة حارب الآباء القديسون ضد الهراطقة في المجامع المسكونيَّة. يرد في البيت ١٥: «إن الكلمة غير المحصور كان بجملته مع السفليين ولم يغب البتَّة عن العلويين، وما صار إنَّما هو تنازل إلهيّ لا انتقال مكاني». ويتابع كاتب المديح فيصف والدة الإله بأنها «باباً للسِّر المكرّم»، «سماعاً ملتبِساً عند الكفار»، «فخراً للمؤمنين»، «مركبةً كليَّة القداسة للجالس على الشاروبيم»، «منزلاً كلّي الجمال للمستوي على السيرافيم»، «يا من بها فُتح الفردوس»، و«مفتاح ملكوت المسيح». باتت والدة الإله، حواء الجديدة، «رجاء الخيرات الأبدية» إذ من خلالها فُتحت للمؤمنين أبواب الفردوس وملكوت المسيح بعد أن أغلقتها حواء القديمة عندما عصت إرادة الله .

لم يكن لحدث التجسّد وقعاً على البشريَّة فقط، بل يخبرنا البيت ١٦ كيف اندهشت الملائكة من هذا العمل الإلهي، وكيف تواضع ابن الله الأزلي ونزل إلى الناس وحلَّ بينهم: «إنَّ الطبيعة الملائكيَّة قد اندهشت بأسرها من فعل تأنُّسكَ العظيم لمُشاهدتها الإله الذي لا يُدنى منه إنساناً مدنوّاً إليه من الجميع». الله أرسل ابنه إلى خليقته «لما حان ملء الزمان» (غلا٤: ٤) ليخلِّص العالم. ظهر من أجل أن يخلِّص خليقته ويعيد إليها علاقتها بالله (البيت ١٨). ندعو هذا العمل الخلاصي سرّاً إذ بالإيمان فقط نستطيع أن نفهم ونعي ما قدَّمه لنا المسيح المتجسِّد دافعاً بذاته فديةً من أجل خلاصنا. بدون الإيمان يعجز كلُّ كائن عن تفسير هذا السر إذ يصبح مثل السمك الذي لا صوت له (البيت ١٧).

يتابع الدور الرابع من المديح (الأبيات ١٩ – ٢٤)، الذي نرتله مساء الجمعة من الأسبوع الرابع ما بدأه الدور الثالث. يعترف المؤمن الحقيقي أن والدة الإله بقيت عذراء طاهرة وسوراً للعذارى بعد ولادتها الرب يسوع . فقد سكن في أحشائها صانع السماء والأرض لذلك هي تستحق كل تمجيد وتسبيح (البيت

١٩). التسبيح هذا واجب أولاً نحو الله من أجل العمل الخلاصي الذي قام به لأجلنا (البيت ٢٠).

بقبولها بشرى الملاك، أصبحت العذراء مريم المنارة التي ترشد إلى الدرب القويم للوصول إلى ملكوت الله: «لأنّها إذ قد أوقدت النور غير الهيولي، فهي تهدي الكل إلى المعرفة الإلهية وتنير العقل بالضياء» (البيت ٢١).

في البيت ٢٢ يتوجَّه ناظم المديح إلى الرب يسوع موفي ديون البشر الذي «حضر بذاته إلى الذين أبعدوا عن نعمته». لقد تجسَّد الرب لكي يعيدنا إلى الفردوس بعد أن كنا في عالم الخطيئة لذا مزق الصك المكتوب على حساب ديوننا فأصبحنا أحراراً من كابوس المعصية والخطيئة ومستحقين نعمته. والنعمة هنا جاءت بمعنى محبة المسيح التي لاحدود لها لخلاص الإنسان من اللعنة.

ينتهي مديح والدة الإله بتسبيحها وذلك لأنَّ الرب حلّ في أحشائها وقدّسها ومجّدها لذا أصبحت مظلة الإله الكلمة وقديسةً أعظم من كل القديسين وتابوتاً مذهّباً بالروح وكنزاً لحياة لا تفنى وتاجاً مكرَّماً للملوك وفخراً موقّراً للكهنة وبرجاً للكنيسة لا يتزعزع وسوراً للمملكة لا يُهدم وبها يقوم الظفر ويسقط الأعداء وهي شفاء الجسد وخلاص النفوس (البيت ٢٣).

عندما صُلب الرب يسوع، قال ليوحنا الإنجيلي «هوذا أمُّك» (يو ١٩: ٢٧) أراد أن يجعل من والدته، والدةً لجميع الخليقة. لذلك نطلب نحن المؤمنين شفاعاتها وتوسلاتها بالدالة الوالدية التي لديها لتقبل صلواتنا وتنقذنا من أصناف الشرور والشدائد (البيت ٢٤).

الخطيئة

لو لم يكن للعالم هذا الإندفاع للخطيئة لما وصلوا إلى هذه البربرية. والأشد خطراً هو الكارثة الأخلاقية. الإنحلال النفسي والخُلقي يتفشى بين الناس.

إن عاين الناس شخصاً لا يسير في تيار العصر ولا يقترف خطيئة ويتصف بالتقوى فإنهم ينعتونه بالمتخلّف أو الرجعي. ذلك أن البشر يعتبرون الخطيئة تطوراً وعدم الوقوع فيها إهانة. هنا تكمن المصيبة، إذ لو اعترف الناس بخطاياهم لنالوا رحمة الله. لكنهم يبرّرون تصرفاتهم ويؤكدون على الخطيئة. وهذا هو التجديف الأعظم على الروح القدس، أن يعتبر الناسُ الخطيئة تطوراً والأخلاقَ مجموعة قوانين جامدة. لذلك فإن الذين يعيشون حياة نقية في هذا العالم الفاسد لهم أجر كبير وقيمة عظيمة.

قديماً كان المرء يخشى أن يخرج إلى السوق إذا كان منحرفاً أو ثملاً لئلا يُزدرى به. ولم تكن المرأة تتجرأ على الخروج من البيت إن لم تكن الحشمة ملءَ بُردَيْها. أما اليوم فإنّ نظرات العتب والإشمئزاز تلاحق الفتاة أو الشاب اللذين يخافان الله ويعيشان بتقوى مع التساؤل: أين يعيش هذا الشاب، أو أين تعيش هذه الفتاة؟ وإن كان بائسٌ قد اقترف خطيئة فإنه يشعر بالذنب ويحني رأسه. أما اليوم فهو لا يشعر بالذنب ويشيح برأسه ولا يحترم أحداً. لقد انقلبت الأمور رأساً على عقب.

الأب باييسيوس الآثوسي

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb

عندما أتى إلى العالم كإنسان. والعالم هذا هو خاصته لأنه من إبداعه كما يقول الإنجيلي يوحنا: «إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله. وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه» (يو١: ١١-١٢). هكذا عندما يسجد الذهن الذي عانى الشلل بإيمانٍ يسمع للحال الرب يدعوه «يا بنيّ»، ويتقبّل منه الغفران والشفاء. ليس فقط هذا، بل أيضاً يحصل على القدرة التي تجعله ينهض ويحمل سريره على كتفه، السرير الذي كان مستلقياً عليه. أعني بالسرير الجسد المادي المرتبط به والذي به يتمّم الذهن الخاضع للشهوات الجسدية أعمال الخطيئة.

لكن بعد الشفاء يسود الذهن على الجسد ويرشده، فيصبح الجسد خاضعاً له. ويُظهر الذهن عن طريق الجسد ثمار التوبة وأعمالها حتى ان الشهود على كل ذلك يمجّدون الله عندما يرون اليوم إنجيلياً كان بالأمس عشاراً، رسولاً كان مضطهداً، لاهوتياً كان لصاً، ابن الآب السماوي مَن كان بالأمس يعيش ويتصرّف مع الخنازير. فتراه يحقق مصاعد في قلبه ويرتقي من مجد إلى مجد، يتقدّم كل يوم نحو الأفضل.

القديس غريغوريوس بالاماس